السيارة الملغومة ، الا انها كانت مسرعة . فأسرعت اجيب ، وانا مذهول :

ـــ انا سعيد !

فالتفتت الفتاة ذات الشعر الفاحم السواد نحوي لفتة زوبعية وهي تصيح :

ـــ بل أخي سعيد .

ـــ يعاد !

ـــ حبيبي

ـــ يعاد !

او هذا ما أحسب الان انه قد جرى بيننا . أما في تلك اللحظة ، التي كانت اقصر من اللحظة ، فانني لم اكن أسمع شيئا ولم اكن أرى شيئا سوى عينين خضراوين يتألق بؤبؤاهما بنور سماوي افتقدته عشرين عاما .

لقد رأيت يعاد ، عشرين عاما من يعاد دفعة واحدة ، في عينيها وفي صوتهـــا وفي شعرها وفي قامتها . فكيف تشعر سمكة أطاحت زوبعة ، دفعة واحدة ، بثلج تراكم على سطح نهرها عشرين عاما ؟ يا تراب القطب الجنوبي قل لهم كيف يكون شعورك لو انحسرت من فوقك ثلوج الدهر دفعة واحدة ! يا لظى البراكين ارو لهم حكايتي ! ويا صخر بلادي انفجر ينبوعا !

أما أنا فانفجرت بكاء .

فأوقفا السيارة . فنزلت يعاد وانتقلت الى المقعد الخلفي بالقرب مني . فأخذت يدي بين يديها فوسدتهما صدرها ثم وسدت رأسها كتفي فامتزجت دموعنا . وكان السائق يزغرد ببوق سيارته ويسير بها بطيئا كأننا في موكب عرس .

ـــ سعيد ، سعيد .

ـــ يعاد ، يعاد .

ـــ أخيرا وجدته .

ـــ ولن تفقديه ابدا .

ـــ كيف حاله ؟

ـــ على ما ترين ، يا يعاد !

ـــ على ما ترين يا يعاد !

واستحوذتني رغبة جامحة في أن أصفق ، في أن أغني ، في أن أزغرد ، في أن أصرخ حتى تنهار من على صدري طبقات الخنوع والمذلة والحاجة ، والصمت ، نعم يا سيدي، عظيم يا سيدي ، أمرك يا سيدي ! فينطلق قلبي من صدري ، حرا ، يطير ، يحلق في أجواء النسور ، ينادي على الناس : مثلكم أنا يا ناس ، شجاع مثلكم ، ومثلكم لي قدمان ثابتتان على الارض وظهر مستقيم وقامة طويلة ورأس في السماء . سعيـــد بشجاعتي مثلكم يا ناس . يعاد الى جانبي يا عالم ! صغيرة كعصا الراعي ، جديدة كالحلم القديم !

عشت الاعوام العشرين لوحدي . عشتها عن يعاد . عشتها حتى الثمالة ، حتى القعر . شربت كأسها المر كله وحدي . فلم يبق لها منه اية قطرة . انقذتها من هذه السنوات العشرين المريرة ، فبقيت يعاد صبية في العشرين وبدون عشريني . عادت